ازدهار تجارة الاقراص الإباحية

شرُّ البليّة ما يُضحك

روى لي صديق ،والعهدة على الراوي ، طرفة مريرة مفادها أن شابا شبه مختل (نص ستاو) على حد وصفه، من سكنة منطقته ، كان في ما مضى هادئا منطويا على ذاته لم يبدر منه ما يضايق أو يزعج أهالي المنطقة ، ولكنه انقلب في الآونة الأخيرة إلى مشاكس، فراح يدور على بعض المنازل في أوقات متباينة، طارقا أبوابها بشدة، وزاعقا بأعلى صوت، مناديا بأسماء بعض المراهقين من سكنة تلك المنازل : "فلان .. فلان ..أطلع .. تعال راويني ..تره اكسر الباب"، وغالبا ما يخرج احد الساكنين ويقوم بتهدئته وسحبه بعيدا محاولا الاستفسار منه عما يريد رؤيته ولكنه كان يلتزم الصمت، وبعد تحري شباب المنطقة عن سر انقلاب سلوك وتصرفات هذا الشاب اكتشفوا أن بعض المراهقين من منطقتهم كانوا يختلون به كل مساء في أحد منعطفات الزقاق ويرونه مقاطع من الأفلام الإباحية المخزونة في هواتفهم النقالة ليضحكوا على تعليقاته وانفعالاته معها .

الأفلام الإباحية تعصف بالشباب والمراهقين في ميسان

□ العمارة / رعد الرسام

وفي الوقت الذي أشار الصديق إلى أن بعض أولئك المراهقين تمت معاقبتهم من قبل ذويهم ومصادرة هواتفهم النقالة ،لفت إلى خطورة موضوعة تفشي ظاهرة تداول الأفلام الإباحية في أوساط الفئات العمرية المختلفة وخصوصا الفتيان والمراهقين وتأثيراتها السلبية على القيم والأخلاق والسلوك الاجتماعي راهنا ومستقبلا .

وقد كنت استرجع تفاصيل هذه الطرفة كلما لمحت مجموعة شبان مجتمعين لمعاينة محتويات نقال احدهم، أو شاهدت مراهقا منشغلا بتصفح شاشة هاتفه النقال. حتى دفعني الفضول الصحفي لمعرفة مصادر هذه المقاطع الإباحية، فرحت أسأل هذا واستفسر من ذاك إلى أن أرشدني أحدهم إلى أحد المصادر الرئيسة لتسويق وتداول هذه الأفلام التي تروج باستخدام (رامات) بحجم ظفر الإبهام وبأسعار زهيدة في سوق الموبايلات .

سوق قذرة.. يرتادها مراهقون وأطفال بلا رقابة

وسوق الموبايل هذه عبارة عن تجمع لباعة بسطيات وزبائن من مختلف الأعمار وهي سوق مكشوفة تنقلت إلى أكثر من مكان لتستقر أخيرا في مساحة من رصيف الشارع المحاذي لبداية نهر الكحلاء قريبا من جسر الماجدية في مدينة العمارة، ورغم صغر هذه السوق ومحدودية زبائنها ' إلى أنها آخذة بالنمو والاتساع ، وبدأت تستقطب مؤخرا المراهقين والأطفال بعيدا عن كل رقيب ، وإذا ما كان ظاهر التعاملات التي تجري هنا هي بيع وشراء الهواتف النقالة الجديدة والمستعملة إلا أن حقيقة الأمر هو ان معظم نشاطات مرتادي هذه السوق تتركز على بيع وشراء ذاكرة الخزن الخارجية او ما يعرف بـ (الفلاشات والرامات) التي تباع هنا وأغلبها محملة بالأفلام والمقاطع الإباحية، ورغم ان التعامل هنا يجري بشكل علني ومكشوف إلا ان لغة التعامل تتميز بمسحة من الترميز والتمويه خلال الترويج للبضاعة و المساومات عليها ، عبر استخدام مصطلحات من قبيل (٤ كيكا عراقي ، ١٦ كيكا أجنبي ، كوكتيل ، زبد ودبس) وغيرها من المصطلحات التي تتعلق بماهية هذه الأفلام مثل جنسية أبطالها وألوان بشرتهم وغير ذلك من معلومات وقفنا عليها بعد جولة لأكثر من ساعة داخل جموع المحتشدين هنا. وهذه السوق بدأت صغيرة جدا وعلى نطاق ضيّق قبل سنوات قلائل في شارع التربية وسط المدينة وبسبب الزحام وشكاوى أصحاب المحال قامت الشرطة بمنع الباعة فانتقلوا الى سوق النجارين ولنفس السبب تم طردهم من هناك فانتقلوا الى المكان الحالي.

أول من تحدثنا إليه هنا كان أحد باعة المرطبات الذي اتخذ لعربته مكانا عند حافة الحشد، رجل يناهز الأربعين وخط الشيب سالفيه ، سألناه عن مشاهداته خلال عمله في هذا المكان فتردد قليلا وحاول التملص بلباقة ولكنه رضخ أخيرا لإلحاحنا وتحدث قائلا " هذه السوق تقام كل يوم من العصر إلى ما بعد مغيب الشمس وفي أيام الجمع تقام نهارا ومساء، وبحكم عملي هنا فاني تعرفت على كثير من الباعة الدائمين، وكذلك عدد من رواد السوق الذين يكثرون من التردد هنا لبيع او شراء الموبايلات وملحقاتها" وعن معلوماته بخصوص تداول الرامات والفلاشات المحملة بأفلام الجنس، أكد وجود هكذا أمور ولكنه ألقى باللائمة على عوائل الشباب والمراهقين والأطفال الذين يسمحون لأبنائهم بالتردد على السوق الذي وصفه بالقذر متابعا " كثيرا ما تحدث مشاجرات هنا بسبب اكتشاف احدهم لموبايله المسروق بيد شخص يحاول بيعه أو مبادلته. إضافة الى تعامل أطفال في بيع هواتف ورامات مليئة بمقاطع الأفلام الخلاعية وبالتأكيد هذا يسبب انحرافهم " ونفى محدثنا وجود أية رقابة من قبل الشرطة أو الجهات الأخرى على هذه السوق .

من جهته، قال فلاح حافظ جاسم، الذي يمارس شراء وبيع الهواتف المستعملة هنا: انه يمارس هذا العمل اضطرارا ، فهو بالأساس كهربائي ولكن ندرة العمل دفعته الى هذه السوق للبحث عن رزقه كما يقول، لافتا إلى أن العمل هنا لا يدر عليه إلا ربحا بسيطا لا يتجاوز الـ ٧ آلاف دينار في أحسن الأحوال عن كل هاتف يبيعه، مبيناً أن أياما تمر دون أن يبيع واحدا من هذه الهواتف المستعملة، وأكد جاسم حدوث شجارات عدة بين مرتادي هذه السوق بسبب السرقات، التي وصلت في بعضها إلى النزاع العشائري، مضيفا " أساس المشكلة هنا هو تواجد الأطفال والمراهقين الذين نشك في سلوكهم وأخلاقهم ، وقد مسكنا بعضهم أكثر من وهو يحاول سرقة بسطيات الهواتف أو الزبائن "، وحول قضية الأفلام الخليعة التي يتم تداولها عبر الرامات أكد جاسم هذا الأمر موضحا "هذا صحيح، إذ أن سعر الرام المحمل بهذه الأفلام يتراوح ما بين ٣-٥ آلاف دينار فقط و، أغلب من يتعامل بها هم المراهقون والأطفال".

وليد ريسان ورعد جاسم، وهما يعملان هنا أيضا أكدا ما ذهب إليه زميلهما فلاح، مشددَيْن على أن بعض رواد السوق هم من(المكبسلين) و (المنحرفين جنسيا) . وقد أكد هذه المعلومة آخرون رفضوا الإفصاح عن أسمائهم، مضيفين أن تواجد الفتيان والمراهقين دون مرافق واحتكاكهم بفئات عمرية أكبر سنا عبر التعامل ببيع وشراء (الرامات القذرة) قد ولد علاقات مريبة ، حيث يشك الكثيرون بسلوك العديد من هؤلاء الفتيان والكبار على حد سواء.

مصادر الأفلام متعددة.. والكل ينفي تورطه

من المسؤول عن كل هذا ؟ من يموّل هذه السوق بهذه الرامات المفخخة التي تفسد أخلاق النشء الجديد ؟ هل هذه الظاهرة شبه المستترة هي نتاج الانفتاح والحرية السائبة التي لا تعدو كونها فوضى شاملة ؟ أم أن هنالك جهات خفية تعمل على تخريب البلد ونخره من الداخل عبر تسريب هذه المواد الفيلمية إلى الناشئة والكبار على حد سواء؟ أهي مسؤولية الدولة أم هي مسؤولية العائلة في ضبط إيقاع تحركات ونشاط وتوجهات أبنائها؟ توجهنا بهذه الأسئلة لأكثر من شخصية داخل المدينة وقد تباينت الإجابات والآراء، فبعضهم ألقى باللائمة على الشبكة العنكبوتية كونها حافلة بالمواقع الإباحية، مبدين شكوكهم بقيام بعض أصحاب مقاهي الانترنت أو موردي خدمة الخطوط بتسريب بعض الأفلام والمقاطع الإباحية عبر تحميلها من المواقع واستنساخها على أقراص السيدي وبيعها للأفراد أو المروجين ، فيما استبعد آخرون هذه الشكوك، متهمين بعض من وصفوهم (بالمتحللين) من مستخدمي الانترنت بترويج مثل هكذا أفلام ح، حيث يقومون بتحميلها من المواقع الالكترونية او تسجيلها من الفضائيات المتخصصة بهذه الأفلام باستخدام (كارت الستلايت) ومن ثم يقومون بنسخها على الفلاشات والرامات و يتبادلونها في ما بينهم وعن طريقهم تتسلل إلى الآخرين كبارا وصغارا.

أبو أسيل في الأربعينيات من عمره ويعمل موردا لخطوط الانترنت باستخدام منظومة نصبها في داره ، نفى بشدة أن يقوم أصحاب المنظومات أو مقاهي الانترنت بترويج مثل هكذا مواد مخلة بالآداب على حد وصفه، مضيفا "عملنا يقتصر على تجهيز الخطوط للراغبين مقابل أجر شهري ولا نقوم بمثل هكذا أعمال لأننا نعتقد بأنها أعمال لا أخلاقية تسهم في تخريب شبابنا وبالتالي مجتمعنا ، واعتقد أن من يروج شائعات بهذا الخصوص تجاهنا، إما جاهل لا يعرف ماهية عملنا أو مغرض تدفعه جهات لا يعجبها الانفتاح الكبير الذي تحقق في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات ومنها شيوع استخدام الانترنت الذي يوفر كل ما يحتاج إليه مستخدمه من معلومات علمية وثقافية وإعلامية حتى غدا منقذا لكل من يسعى إلى معلومة يحتاج اليها في مجال عمله كالطالب والمهندس والطبيب وغيرهم"، واستدرك أبو أسيل انه لا ينفي انزلاق البعض وخصوصا المراهقين نحو المواقع الإباحية، مضيفا " تبقى هذه المسألة قضية فردية ترجع إلى ثقافة الشخص وتربيته وتأثير بيئته الأسرية والاجتماعية ".

بعض من استطلعنا آراءهم شددوا على أن للعائلة الدور الأساس في متابعة الأبناء ، ومعرفة أين يذهبون او يقضون أوقاتهم، مشيرين الى شيوع ظاهرة التسيب بين المراهقين الذين تجدهم يتسكعون في الأسواق وصالات الألعاب ومقاهي الأركيلة ، إضافة لقيام بعض العوائل بدفع أبنائها الصغار الى العمل بسبب الضائقة المادية وهؤلاء يحتكون بالنتيجة بالكبار ويتلقفون عن بعضهم كل ما هو سيئ من كلام او سلوك ما يسهل انزلاقهم الى الموبقات . ناهيك عن إجبار بعض الأطفال من قبل ذويهم على امتهان التسول وما يتبعه من انحدار قيمي وأخلاقي في سلوك الطفل حاضرا و مستقبلا .

ويشير التدريسي علي كرم إلى أن قيام بعض العوائل بشراء موبايلات حديثة لأطفالهم الصغار من باب التباهي او الدلال هو أخطر ما في الموضوع، متابعا " طفل صغير او مراهق ولديه موبايل حديث او جهاز حاسوب مجهز بالانترنت ،وبلا رقابة أسرية ما الذي تتوقع منه سوى الانحراف ؟ بالإمكان إن كان لا بد من شراء هاتف محمول لمن هم في سن المراهقة أن يكون لا يحوي كاميرا أو وسائط ميديا وبرامج بلوتوث، ومثل هذه الهواتف متوفرة ورخيصة ولا يمكن تحميلها بمثل تلك الأفلام ، وعلى الأهل مراقبة الأبناء خلال تصفحهم للانترنت وعدم منحهم الحرية المطلقة واختيار أصحابهم بدقة." وتابع كرم " أعتقد أن بإمكان الحكومة من جانبها عمل الكثير في هذا المجال مثل حجب المواقع السيئة في الشبكة العنكبوتية أو تأمين باقة قنوات فضائية عائلية ، فلا تنسى أن هناك قنوات خليعة على بعض الأقمار يدمنها الكثير من المراهقين المنفلتين من الرقابة الأسرية".

من جهتهم، دعا مجموعة من أرباب الأسر الجهات الرسمية في الدولة الى تشريع قوانين ملزمة لتأطير خدمة الانترنت التي وصفوها بالفوضوية والسائبة، مطالبين بان يتضمن القانون حظرا للمواقع التي تروج لثقافة التخريب والتطرف والتحلل الأخلاقي ومنها المواقع الإباحية ، ومعاقبة كل من يشجع ويروج لها بأية وسيلة كانت . وعما إذا كان مثل هذا التشريع سيعد بمثابة تجاوز على الحريات العامة ، علق منذر نعيم ، وهو أب لثلاثة مراهقين بالقول " نحن لا ندعو إلى التضييق على الحريات أو منع وسائل الاتصالات ومنها الشبكة العنكبوتية، ولكننا نطالب الدولة بترشيد استخدام هذه الوسائط بما لا يتقاطع مع ثقافتنا وأخلاقنا ، وإلا فهي فوضى وخراب وضياع للجيل الناشئ ، نحن مع حرية الفرد في الاطلاع والمعرفة بكل ما يسهم في بناء الشخصية وتنمية القدرات العلمية والثقافية والفنية لأولادنا وشبابنا عموما ولسنا مع حرية مطلقة تسبب انزلاق شبابنا إلى مهاوي الرذيلة والفسوق والضياع".

فيما طالب علي كاظم مؤسسات الرياضة والشباب الحكومية بوضع برامج حقيقية لاستيعاب طاقات الفتيان والشباب خلال اوقات فراغهم، متهما هذه المؤسسات بالقصور الكبير في هذا الجانب، موضحا " غياب الاهتمام الحقيقي بقطاع الشباب من قبل المؤسسات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني الذي هو أحد الأسباب الرئيسة لانزلاق الشباب الى مثل هكذا أمور ، ففي سن المراهقة والشباب تكون طاقة الفرد في ذروتها ولا بد لها من تنفيس وإفراغ، فهل لدينا مؤسسات معنية قادرة على استيعاب وتوظيف هذه الطاقات بالشكل السليم ؟ اذهب إلى منتديات ومراكز الشباب العديدة التي تم إنشاؤها خلال السنوات القليلة الماضية وانظر عدد الشباب المتواجدين هناك ، إن أعدادهم في كل مركز لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وبعضها فارغ تماما والسبب هو غياب البرامج الحقيقية والفاعلة في هذه المراكز والمنتديات التي ظلت مجرد أبنية عاجزة عن استقطاب الشباب، ما يدفع بعضهم الى اللجوء الى نشاطات مسيئة مثل هذه الأمور الخطيرة".

مدير مدرسة : رحم الله طلاب أيام زمان

الأركيلة وصالات الألعاب، ناهيك عن الكبسلة والمخدرات "، وأما بخصوص تداول الأفلام الإباحية، فأشار الجيزاني إلى أن غياب الثقافة الجنسية عند هذه الفئة العمرية يدفعها إلى البحث عن أي مصدر للتعرف على خفايا الجنس والجسد، موضحا "غياب الثقافة الجنسية في منظومة الأسرة وفي منظومتنا التعليمية أيضا ومع توفر هامش كبير من الحرية وغياب الرقابة يشجع ويدفع بالمراهقين إلى البحث عن اي مصدر يروي ظمأه لمعلومات تتعلق بموضوعة الجنس ، وبالطبع فان احد هذه المصادر هو الأفلام الإباحية التي توفرت على نطاق واسع بوساطة التكنولوجيا الحديثة المتعلقة بوسائل ووسائط الميديا مع رخص ثمنها "، وعن الأسباب الأخرى لشيوع هذه الظاهرة والطرق الكفيلة للحد من أتساعها وتأثيراتها قال " ضعف أداء قنوات التنشئة الاجتماعية هو أحد الأسباب الرئيسة، وهذه القنوات تتمثل في الأسرة والمدرسة وجماعة الأقران إضافة لوسائل الإعلام ، فغياب الرقابة الأسرية مع ضعف دور المدرسة في التنشئة ، والتأثير السلبي لأصدقاء السوء على الطفل أو المراهق، إضافة لقصور دور الإعلام في هذا المجال . كل تلك القنوات لها تأثير في تنشئة الجيل وبناء وتكوين الشخصية، وهي ذات القنوات التي يمكن تفعيلها إيجابيا لمواجهة هذه الظاهرة والحد من انتشارها بالتعاون مع جميع المؤسسات المعنية في الدولة والمجتمع".

الشرطة جهلت خبايا السوق وتوعّدت بالتحقق واتخاذ ما يلزم

اتصلنا بالمستشار الأعلامي لقائد شرطة ميسان وأطلعناه على تفاصيل ما يجري في سوق الموبايل بغياب الرقابة المفترضة في مثل هكذا أماكن، فوعد بان تقوم المفارز المعنية في جهاز الشرطة بزيارة السوق للاطلاع على حقيقة الأمر، وأضاف مهند الهاشمي "بالنسبة إلى شرطة المحافظة فسوف تتابع مثل هكذا حالات خصوصا عندما تكون لديها معلومات وأدلة عن وجود مجاميع تروج للمواد الإباحية ، وبالنسبة لسوق الموبايل الكائن قرب جسر الماجدية فستقوم مفرزة من الشرطة المختصة بزيارة السوق وإذا ما تحققت من أن مواد إباحية يجري التعامل بها هناك، فسيتم اتخاذ الإجراءات القانونية بحق المتعاملين بها ".

ضعف قنوات التنشئة الاجتماعية سبّب استفحال الظاهرة

المدى فتحت هذا الملف أمام أحد اختصاصيي علم النفس للوقوف على أسباب اتساع ظاهرة تداول الأفلام الإباحية بين الشباب والمراهقين، فأكد الدكتور محمد كاظم الجيزاني أن للغريزة الجنسية دورا أساسيا في اندفاع هذه الفئات العمرية نحو تداول هذه النوعية من الأفلام، مضيفا " الأمر لا يقتصر على تداول الأفلام الإباحية فنحن نتلمس تشكيل ظاهرة بدأت تتسع بين الشباب والمراهقين و تتمثل بانحراف السلوك الاجتماعي لأعداد كبيرة ضمن هذه الفئات العمرية، بدءا من الملبس، مرورا بقضاء معظم أوقاتهم في مقاهي أوجزت لمدير إحدى المدارس المتوسطة جانبا من ظاهرة تداول المراهقين للأفلام الإباحية على الهواتف النقالة، قبل أن أسأله عن وجهة نظره بالموضوع ' فابتدأ حديثه بالترحم على طلاب الثمانينيات والتسعينيات قبل أن يروي لي قصة مجموعة من طلبته، ثم سرد المدير الحادثة بمرارة: "خلال العام الدراسي الماضي طرق باب مكتبي أحد الطلاب وأخبرني بعد أن رجاني ألا أذكر اسمه ، أن عددا من زملائه في الصف يقومون خلال الفرصة بين الدروس بمشاهدة مقاطع إباحية مخزونة في هواتفهم ، فقمت بعد الفرصة بدخول الصف والطلب من جميع الطلاب الذين يحملون هواتف بتسليمها لي فورا، كان عددها حوالي ٢٠ هاتفا، وحين قمت بفحص محتوياتها في مكتبي تبين أن أكثر من نصفها محملاً بصور وأفلام خليعة ، فطلبت من أصحابها جلب أولياء أمورهم في الغد، وأطلعت الآباء على ما في هواتف أبنائهم، غضب البعض ووعد بمعاقبة ابنه ولكن ما حز في نفسي تسويف بعض الآباء للأمر وتبريره بالقول " يمعود.. بسيطة هذا طيش شباب"، لذا قررت هذا العام منع الطلبة من إدخال الهواتف النقالة للمدرسة.

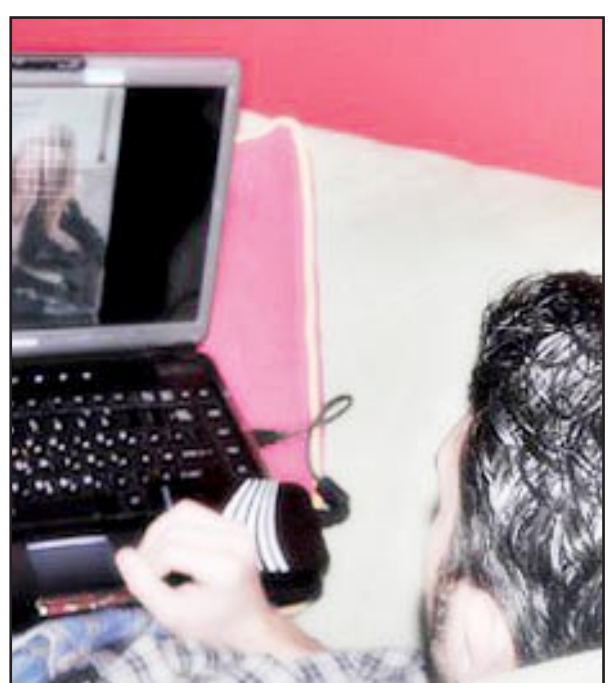

مواقع الانترنت

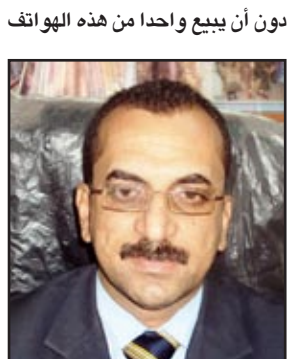

د. محمد كاظم الجيزاني

اسواق عشوائية تنتشر فيها هذه التجارة

من المسؤول عن كل هذا؟ من يموّل هذه السوق بهذه الرامات المفخخة؟

أن للعائلة الدور الأساس في متابعة الأبناء، ومعرفة أين يذهبون

تشريع قوانين ملزمة لتأطير خدمة الانترنت التي وصفوها بالفوضوية